النقد البيبليّ الحديث والكنيسة الأرثوذكسيّة

مقدمة

يعتمد الكاثوليك في كل العالم على وثيقتين أساسيتين حول الكتاب المقدس وتفسيره. الوثيقة الأولى صدرت عن المجمع الفاتيكاني الثاني في السنة ١٩٦٥ تحت عنوان: **الدستور العقائدي، في الوحي الإلهي** (*Dei Verbum*) وهي تعرض رأيًا إجماعيًا حول طبيعة الكتاب المقدس وأصله[1]. أما الوثيقة الثانية فصدرت عن اللجنة البيبلية الحبرية بعنوان **تفسير البيبليا في الكنيسة**، في العام ١٩٩٣، ونجد فيها تعقيبًا على مناهج التفسير الحديثة وعلى استعمالها في حضن الكنيسة[2].

أما الأرثوذكس فلم يعقدوا مجامع مسكونية منذ زمن طويل، ولم يعيّنوا لجانًا محلية أو پان–أرثوذكسية استشارية تكون ذات فعالية في شأن توجيه الإكليرس والمؤمنين إزاء تحدّيات الحداثة. لذلك إذا أردنا الاطّلاع على المواقف اللاهوتية المعاصرة في بطريركية أنطاكيا للروم الأرثوذكس — التي بالطبع لا تختلف اختلافًا جذريًّا عن البطريركيات الأخرى والكنائس الأرثوذكسية المستقلة (*autocephalous*) — فلا نجد وثائق حديثة رسمية على طريقة الكنائس الكاثوليكية، بل كتابات اللاهوتيين التي قد اخترتُ منها بعض القراءات النموذجية للتيارات المختلفة، دون الادّعاء بدراسة إجمالية.

ما يجدر ذكره هو أن الصبغة الغالبة في هذه الدراسة هي للمنظور التفسيري، علمًا أن أبحاثًا من هذا الطراز تتطلب أيضًا الاطّلاع على حقول لاهوتية وفروع علمية مختلفة،

---

[1] الطبعة العربية للوثيقة: "الوحي الإلهي" نقله عن اللاتينية إلى العربية الأب يوسف كلاس البولسي، في: الفاخوري، حنا (محرر)، **المجمع الفاتيكاني الثاني**. دساتير، قرارات، بيانات، المكتبة البولسية، حريصا، ١٩٩٢، ١١٧–١٤١.

[2] الطبعة العربية للوثيقة: **التفسير البيبلي في الكنيسة**. وثيقة اللجنة البيبلية الحبرية، تعريب جرجس خليفة، المركز البيبلي الرعائي، جبيل، ١٩٩٥.

كالتاريخ وعلم الاجتماع والعقائد ونظريات التفسير. فإنّ هذه الدراسة لا تهدف إلى تقديم نتائج مستنفدة في هذه الحقول، بل تقديم قراءة نقدية —وبترتيب— لعلم التفسير الحديث في العالم الأرثوذكسيّ عمومًا، والأنطاكيّ خصوصًا، كما يراه عالم في التفسير البيبليّ.

الوضع الراهن

إذا استمعنا إلى صوت اللاهوتيين المعاصرين نستنتج أن الأرثوذكس متّفقون عمليًّا على الدور المعياريّ للكتاب المقدس. فيقول جان بريك (John Breck)، مثلاً، إن الكتاب هو القانون أو المقياس الذي به تقاس أصالة كل التقاليد وبه يحدَّد التقليد المقدّس[٣]. إذن، الكتاب المقدس هو العمود الفقريّ الذي يحمل التقليد ويغذّيه. في هذا الخصوص يقول الأب جورج عطية: "بالنتيجة يمكننا القول أن ما كتبه الرسل والتلاميذ في العهد الجديد — كما الأنبياء في العهد القديم — كان موحى به من الله، وأنه احتلّ ولا يزال المكانة الأولى والركن الأساسي في تعليم الكنيسة وحياتها"[٤]. أضف إلى هذه المقولات الدور التأسيسيّ والمكانة المحوريّة اللذين للكتاب المقدس في الليتورجيا الأرثوذكسية، فيمكننا أن نستنتج أن الكتاب المقدس بقي النواة الجوهرية في التقليد الأرثوذكسي المقدس ولا يزال.

أما في ما يخصّ الطريقة التي بها نقوم بالتفسير فنجد أن معظم الأرثوذكس يتّفقون أيضًا على فرضية تفسيرية أساسية تؤكد أنّ الأسفار المقدّسة تفسَّر على ضوء التقليد. بهذا المعنى يقول جان بريك بأنّ " التقليدُ يوفّر المنظورَ التفسيريّ الذي على أساسه تفسَّر النصوص الكتابية بشكل لائق"[٥]. وفي السياق عينه يؤكّد إلياس إيكونوموس (Elias Oikonomos) أنّ " التقليد يبني القاعدة الكنسيّة التي يقوم عليها علم التفسير"[٦]. نحن

[3] Breck, J, *Scripture in Tradition*. The Bible and its Interpretation in the Orthodox Church, SVSP: Crestwood (N.Y.), 2001, 11.

[4] عطية، جورج، "وحدانية تقليد (تسليم) الكنيسة ودوره في تفسير الكتاب المقدس"، في: **حوليات معهد القديس يوحنا الدمشقي اللاهوتي ٤–٥** (٢٠٠١–٢٠٠٣)، ٨١. التسطير للكاتب.

[5] Breck, *Scripture*, 10.

[6] Oikonomos, E., *Bibel und Bibelwissenschaft in der orthodoxen Kirche* (Stuttgarter Bibelstudien 81), KBW Verlag: Stuttgart, 1976, 46.

نرى أن هذه الطروحات ليست إلا أصداء لما كان قد طرحه جورج فلوروفسكي (Georges Florovsky) الذي شدد على سلطة الكتاب كونه موحى من الله، في حين أنّه أشار إلى سلطة التقليد كونه "المبدأ التفسيريّ" (*hermeneutical principle*) للكتاب[٧]. ولكن، ثمة رأيان متناقضان حول كيفية تفسير التقليد المقدس وتطبيقه اليوم، وحول كيفية المشاركة في المباحثات العلمية الحديثة عن الكتاب المقدس وتفسيره. فنجد، من جهة، مَن يرى في التقليد نموذج انفتاح ومصدر إلهام في سبيل تطبيق علوم العصر المتقدّمة وتحدّيها. ونجد، من جهة أخرى، مَن يرى في التمسك بالطقوس والجمود الاختيار الصحيح الوحيد والموثوق به، الذي عليه يجب بناء كل بحث عن معاني النصوص الكتابية. هؤلاء يرتؤون استمرارية التقليد بواسطة ممارسة الطقوس ممارسةً أصوليةً وبواسطة تكرار أقوال الآباء تكرارًا سطحيًّا[٨]، بينما أولئك يضيفون إلى الحياة الأسرارية في الكنيسة الاجتهاد الشخصي والاجتهاد الجماعي والتنشئة الفكرية.

يتمتّع التفسير المتمسّك بالطقوس وبتكرار أقوال الآباء شكلاً بقبول واسع في أنطاكيا واليونان وروسيا، وهذا يعرقل –بين عدّة أمور– التطوير السليم للتفسير الكتابي في حضن كنيستنا، علمًا أنه يحتوي على سلسلة من التناقضات البديهية. من إحدى تناقضاته هي استعمال القائلين بهذا التيار لترجمة سميث/فاندايك (SVD) التي تمت بفضل الغيرة البروتستانتية على نقل الكتاب المقدس إلى العربية، والتي تُرجم عهدها القديم من العبرية[٩]، فلا يضمّ بالتالي كل القانون الأرثوذكسي للعهد القديم، ولا الأسفار المنصوح بقراءتها من قبل الآباء المعروفة بالأناغينوسكومِنا (*Anaginoskomena*)[١٠]. في مطلع القرن الحادي

---

[7] Stylianopoulos, T., *The New Testament: An Orthodox Perspective*. Volume One, Scripture, Tradition, Hermeneutics, Brookline (Massachusetts), 1997, 164.

نجد تعليم الأب جورج فلوروفسكي حول الكتاب المقدس والتقليد في كتابه: **الكتاب المقدس والكنيسة والتقليد**. وجهة نظر أرثوذكسية، نقله إلى العربية الأب ميشال نجم، منشورات النور، بيروت، ١٩٨٤.

[8] راجع عطية، **وحدانية**، ١٣٣–١٣٥ و

Breck, J., “Theoria and Orthodox Hermeneutics,” *SVThQ* 20, 4 (1976) 217-219.

[9] بعض اللاهوتيين الأرثوذكس وخصوصًا ذوي الثقافة اليونانيّة لا يكتفئون بتفضيلهم قراءة الترجمة السبعينية على النص الأصلي العبري ولكنّهم ينصحون أيضًا عدم دراسة اللغة العبرية القديمة. راجع مثلاً الفغالي، بولس، "الكنائسة الأرثوذكسية والكتاب المقدس"، في: بولس الفغالي، **المحيط الجامع في الكتاب المقدس والشرق القديم**، المكتبة البولسية / جمعية الكتاب المقدّس، بيروت، ٢٠٠٣، ١٠٤٤. ١٠٤٧.

[10] راجع الرسالة الفصحية ٣٩ للقديس أثاناسيوس الإسكندري (*NPNF IV*, 551-552) ومجمع اللاذقية في السنة ٣٦٣، القانون ٥٩.

والعشرين، بعد أكثر من ثلاثين سنة من تأسيس معهد البلمند اللاهوتيّ، وبعد أكثر من ستّين سنة من "النهضة" التي، كما يقال، أطلقتها حركة الشبيبة الأرثوذكسية، لا يزال الأرثوذكس الأنطاكيون يعارضون البحث البيبليّ النقديّ.

بلغ هؤلاء المعارضون المحافظون درجة هامة من الإنفصام في موقفهم إذ أنّهم لا يترددون في أن يستشهدوا بالطبعات النقدية للكتاب المقدس كالـ GNT، أو سبعينية Rahlfs، أو حتى النص العبري BHS، علمًا أنّ هذه الأعمال الجديرة تمت، كما يقول الأب جورج عطية، "خارج إيمان كنيسة المسيح وحياتها"[11]. علاوةً على ذلك، عندما يحتاجون إلى مراجعة المصادر التي تتضمّن التقليد المقدس، لا يبقى أمامهم إلا أن يقرأوا الطبعات النقدية "الغربية"، كالسلسة *Sources Chrétiennes* الفرنسية، أو ما طبعه العالم الفرنسي جاك بول ميني بين ١٨٥٧–١٨٦٦، تحت العنوان المشهور ***Patrologia Graeca***، أو المجموعة الإنكليزية *Nicene and Post Nicene Fathers*.

من جهة أخرى، هناك أقلية يزداد عددها يومًا بعد يوم، تطلب الحوار مع العلوم الحديثة مهما كان أصلها الديني أو القومي، وتدّعي أنّ هذا المبدأ ليس فقط يتجذر في تقليد الكنيسة الأرثوذكسية، بل أنّ الخبر الرئيسيّ في الكتاب المقدّس يتطلبه ويفترضه. فهل يا ترى على طبيب أرثوذكسي مؤمن أن يصف فقط الأدوية المستعملة من القديسين الرافضي الفضة، كالقدّيسَين قزما وداميانوس في القرن الثالث الميلادي، أو بالحري، هل يجب عليه أن يتسلّح بالعلوم الحديثة من أجل إنقاذ المريض بأنسب طريقة فعّالة؟

بهذا المثل تتّضح أمامنا الصورة حول الوضع الدقيق الذي يمر به اللاهوت الأرثوذكسي المعاصر في ما يخص المسائل الكتابية. لعل الاطّلاع على أبرز المراحل التاريخية التي أدّت إلى هذا الوضع يسهم في توضيحه وفهمه وتصحيحه.

[11] عطية، وحدانية، ١٣٣.

لمحات في التاريخ والتقليد

إذا ألقينا نظرةً على تاريخ بطريركية أنطاكيا نرى أنّه، ابتداءً من القرن السادس، واجهت الجماعات المسيحية صعوبات متعددة ومتنوّعة في الشدّة التي أثّرت تأثيرًا عميقًا على الفكر اللاهوتي وتطويره[١٢]. يتّفق المؤرّخون الأنطاكيون واليونان على وصف الفترة العثمانية اللاحقة، التي امتدّت حوالي أربعة قرون بعد سقوط القسطنطينية في ١٤٥٣، كأقسى الفترات في تاريخ المسيحية في الشرق الأوسط. لم يكن في وسع اللاهوت في هذه المرحلة إلا البقاء على قيد الحياة، كما يقول إيكونوموس (E. Oikonomos). ويؤكد أغوريذيس (S. Agouridis) أنّه "بعد سقوط بيزنطية، لا يقدر المرء أن يتكلم عن دراسات بيبلية في كنيسة الروم الأرثوذكس"[١٣]. أضف إلى ذلك الجرح العميق الذي حفره على ذاكرة الروم الأرثوذكس الجماعية الاقتناصُ اللاتيني ابتداءً من القرن السادس عشر، والبروتستنتي ابتداءً من التاسع عشر، اللذين أثّرا أيضًا على قبول التيارات الفكرية الجديدة الآتية من الغرب.

لا أقصد بإعرابي عن هذه المعاناة تقديم لائحة اعتذارات ولا لائحة اتّهامات؛ هي ليست بحائط نخبئ وراءه عجزنا الحالي، ولكنّها تسمية الأسباب باسمها الحقيقي من أجل تشخيص الوضع الراهن، ومن أجل التقدّم إلى مستقبل أفضل بالتفاهم مع الجماعات المسيحية أخويًّا.

ثمة مرحلة مهمّة في تاريخ المسيحية لم يشترك فيها الأرثوذكس بسبب أوضاعهم السياسيّة والاجتماعيّة، وهي التي تسمّى في كتب التاريخ المسيحي العالمي بـ "عصر الأنوار" أو "عصر التنوير" (*The Enlightenment*). امتدّ عصر الأنوار في أوروبا الغربية من القرن

---

[12] بولس الفغالي، **المحيط**، ١٠٤٠ يرى أيضًا في القرن السادس بدء الانحطاط ويشير إلي "زوال البحث الأصيل". يقدم بولس الفغالي، **المحيط**، ١٠٤٠–١٠٤١ رؤية شاملة مختصرة وغنية معًا في المعلومات حول الدراسات الكتابية في الكنائس الأرثوذكسية في أراضي الروم بين القرون السادس والثاني عشر. يذكر بين أبرز المفسرين أناستاسيوس النقاوي (القرن السابع)، أندراوس القيصري (القرن السابع)، باسيليوس من نيوبتراس (القرن العاشر)، نيكيتاس التراقي (القرن الثاني عشر).

[13] Agouridis, S., "Biblical Studies in Orthodox Theology," in: *Greek Orthodox Theological Review* 17 (1, 1972) 51-62.

السابع عشر وحتّى الثامن عشر، أي من ١٦٥٠ حتّى ١٧٨٩، وشدّد على دور العقل والعِلم في الفلسفة واللاهوت، كما وأنّه أصرّ على ضرورة دراسة الثقافة الانسانية والطبيعة[١٤]. لقد علّم هؤلاء "المنوَّرون" أنّه يجب على الانسان أن يوجّه طموحه إلى خيرات هذه الحياة وليس إلى خيرات الحياة الأخرى، فالسعادة في هذا الدهر أهمّ من الخلاص بحسب الدين. هاجم هذا التيار الفكريّ الكنيسة مهاجمة شرسة لأنّ أتباعه اعتبروا الكنيسة مؤسسة ظالمة في جمع ثرواتها، وتنفيذ سلطتها السياسية، وقَمْعها العقل الحرّ. يرى لاهوتيُّو أوروبا الغربيّة أنّ النقد البيبليّ الحديث متجذّر بشكل أو بآخر في هذا التيار الفكريّ، الأمر الذي جعل قبول الأرثوذكس لهذا النقد صعبًا، لأنهم اعتبروه أيضًا استبدادًا أكاديميًا بالكتاب المقدس، وحركة ليبرالية حطّمت البروتستنتية وقسمتها[١٥].

"في اختيار المعرفة يكمن الكمال"؛ هذا ما يؤكّده ثيودوريطس القورشي في تفسيره أف ٢: ١٤-١٥[١٦]. فليكن هذا القول العميق، الذي يدعو إلى البحث عن المعرفة الحقيقية، مفصلةً بين تعريفنا عصر الأنوار ووصفنا لإحدى المدارس اللاهوتية الشهيرة، التي عرفت مدح المسيحيين ونقدهم في آنٍ واحد، أعني مدرسة أنطاكيا للتفسير الكتابي التي ازدهرت في القرنين الخامس والسادس الميلاديَّين. يُذكر بين معلميها ذيوذروس الطرسوسي (✝٣٩٤)، ثيوذرس الموبسوَستي (٣٥٠-٤٢٨) و ثيوذوريطس القورشي (✝٤٦٦)؛ ومن أهمهم القديس يوحنا الذهبي الفم (✝٤٠٧) الذي تميّز عن باقي المفسِّرين في كلّ العصور بجدّته وبالتزامه بالكلمة. برزت كتابات هذه المدرسة بطابعها العقلانيّ الصارم[١٧]. نعرف أنّ ثيوذرس الموبسوَستي كان يراجع كتب القواعد والمعاجم إلى جانب الدراسات التاريخية المتوفرة آنذاك، لكي يكتسب كل المعلومات الممكنة قبل تفسير النصوص. كان يهمّه إعطاء المعنى

---

[14] بين روّاد عصر الأنوار وقواده يُذكر: Denis Diderot، Voltaire و Charles de Montesquieu في فرنسا؛ Immanuel Kant في ألمانيا؛ John Locke و David Hume في انكلترا؛ و Thomas Jefferson مع Benjamin Franklin في المستعمرات الأميركية.

[15] Stylianopoulos, *Testament*, 158-162.

[16] يرد قول ثيوذوريطس القورشي في اليونانية في PG 82:524 B. كان ثيودوريطس القورشي من الكتّاب الأكثر انتاجًا في الكنيسة الناطقة باليونانية. كان من محاربي أفتيخوس والنساطرة. مات حوالي ٤٦٦ وهو من أبرز مفسّري الكتاب المقدّس في العصور القديمة. طبق في تفاسيره مناهج لغوية تاريخية دمجها مع مناهج التيبولوجيا والاستعارة (Allegory). فسر المزامير ونشيد الأناشيد وكل الأنبياء ورسائل بولس الأربعة عشر. راجع:
Altaner / Stuiber, *Patrologie*. Leben, Schriften und Lehre der Kirchenvaeter, Herder: Freiburg, 1993, 339-342.

[17] راجع Altaner, *Patrologie*, 190.

الدقيق لكل مصطلح قبل تفسير المقطع المعيّن. هذا ما يُستنتج دون التباس من تفسيره لسفر المزامير الشهير[١٨]. كان الموبسوَستي يعتبر النسخة السبعينيّة للعهد القديم ترجمة تحتوي على بعض العوائق اللغوية[١٩]، وكان بين أحد أوائل المشيرين إلى التعابير السامية (في اليونانية: *idiômata*) في النحو اليوناني الخاص بالترجمة السبعينية[٢٠]. يرتئي العلماء أنّ للمدرسة الأنطاكية دورًا تأسيسيًّا في تطوير العلوم حول الكتاب المقدّس؛ مبادئها في علم اشتقاق الألفاظ (*etymology*) وفي الاستنتاج بالمشابهة (*to conclude by analogy*)، مثلاً، تشكّل إلى اليوم الجذور التي عليها نمت باقي العلوم البيبلية شرقًا وغربًا[٢١]. كان آباء هذه المدرسة (والمدارس اللاحقة)، من أجل تفسير الكتاب، يستخدمون أفضل المناهج العلمية المطبّقة في عصرهم، لكي يحموا القطيع "من الذئاب الخاطفة والرجال المتكلمين بأمور ملتوية ليجتذبوا التلاميذ وراءهم" (أع ٢٠: ٢٩-٣٠). فقبل ما قال تفاسيره الجليّة، كان القديس يوحنا الذهبي الفم تعلّم الفكر المعاصر له على يد الفيلسوف أندراغاتيوس، والعلم في البلاغة من المعلم الكبير ليبانيوس. وكان تعلُّم الفكر العلماني قاسمًا مشتركًا بين كبار آباء الكنيسة، فكان القديس باسيليوس الكبير تعلّم البلاغة بعض السنوات في قيصرية كبادوكيا، ثم في القسطنطينية، وأخيرًا في أثينا. هكذا أيضًا القديس غريغوريس النزينزي الذي كان زميلاً وصديقًا لباسيليوس في أثينا. وغريغوريوس النيصوصي، الأخ الأصغر لباسيليوس، كان يعلم البلاغة قبل أن يترهب. ولكنّ همّهم لم يكن تعليم الفلسفة وعلم البلاغة، بل كانوا يستخدمون معرفتهم العلمية في درسهم المستمرّ لكلمة الله وتعليمها من أجل التبشير والخلاص.

---

[18] Schäublin, Ch., *Untersuchung zu Methode und Herkunft der antiochenischen Exegese*, Koeln-Bonn, 1974, 95ff.

[19] راجع Schäublin, *Untersuchungen*, 125.

[20] راجع Schaeublin, *Untersuchungen*, 127ss y 171s.

[21] انظر: Oikonomos, *Bibel*, pg. 12; Schäublin, *Untersuchungen*, 173. للمزيد من المراجع بهذا الخصوص راجع: Laistner, M.L.W., Antiochene Exegesis in Western Europe during the Middle Ages, in: *HThR* 40 (1947), 19ff; Hatch, E., *Griechentum und Christentum*, Freiburg i.B., 1892, 59; Curtius, E.R., *Europäische Literatur und Lateinisches Mittelalter*, Bern, 1967[6], 210.

الأرثوذكس وعلاقتهم بالنقد الحديث

تارةً عن معرفة وطَورًا عن غير معرفة، اضطرّ اللاهوت الأرثوذكسي الأنطاكي أن ينخرط في حقول النقد الحديث للكتاب المقدس. كما ذكرنا آنفًا، الأرثوذكس يقرأون ترجمة فان دايك، ويعتمدون على الطبعات النقدية للـ GNT والـ Rahlf حين يستشهدون علميًّا بالنص اليوناني. ولكن هذا ليس كل شيء. فهناك، مثلاً، أبحاث علمانيّة عن الميثولوجيا في الشرق الأوسط القديم تعتمد على علم الآثار وعلم الأديان المقارن، التي طرحت أسئلة عديدة على الكتاب المقدس بشكل عام، وعلى سفر التكوين بشكل خاص في مواضيع جوهرية، كقصتيَ الخلق والطوفان. وإذا أراد اللاهوتي الأرثوذكسي الردّ على بعض الآراء فلا عليه إلا أن يستعين بأبسط المناهج النقدية على الأقلّ[٢٢].

في اليونان ومنذ تأسيس كليتي اللاهوت في أثيناء (١٨٣٧) وتسالونيك (١٩٢٦) نرى أنّ عددًا كبيرًا من علماء الكتاب المقدس أخذوا يدرسون في جامعات أوروبا الغربية، وبالأخص في ألمانيا. لنذكر على سبيل المثال زيلوتاس (E. Zelotas)، أنتونيانيس (E. Antoniadis)، يوانيذيس (V. Ioannidis)، وأغوريذيس (S. Agouridis) الذين كانوا بمثابة روّاد في تطبيق النقد الكتابي لقرّاء أرثوذكس[٢٣].

حسب الأب ثيودور استيليانوبولس، يعتقد أغوريذيس أنّ هناك أسبابًا عديدة ساهمت في عرقلة قبول العلوم البيبلية في اليونان وأهمّها:

- تطوّرُها في أوساط اجتماعيّة تميزت بالدفاع والقلاقل.
- عدم خروجها من الأوساط الأكاديميّة.
- تعرّضُها لتهديدات "التقليديين" بحجّة الدفاع عن تعليم آباء الكنيسة الكبار.

[22] كونستاندينو، "العهد القديم: أساطير العبرانيين أم كتاب الكنيسة،" في: **حوليات معهد القديس يوحنا الدمشقي اللاهوتي ٤–٥** (٢٠٠١–٢٠٠٣)، ص ١٧٨–١٩٠؛ جورج عطية، "الكونبين الأسطورة والكتاب المقدس والنظريات العلمية في الألفية الثالثة،" في: **حوليات معهد القديس يوحنا الدمشقي اللاهوتي ٢–٣** (١٩٩٩–٢٠٠١)، ص ٢٠٣–٢٥٦.

[23] Stylianopoulos, *Testament*, 72.

- إهمالها للبعد الرعائيّ للكتاب في الليتورجيا، وللمساهمة في تأسيس الدولة اليونانيّة الحديثة[24].

أما في مجال التطبيق المباشر للنقد الحديث في أنطاكيا، فنجد أن البعض قد نشروا بضعة تفاسير حديثة لأسفار العهد الجديد[25]، ومداخل إلى العهدين القديم والجديد[26]. ثمة نشر بعض الأبحاث المستقلّة عن مواضيع كتابية، نذكر على سبيل المثال حياة بولس الرسول، وصورة المسيح في الأناجيل، وأمثال الملكوت، والأسس الكتابية للوعظ[27]. كما وأن **مجلة النور** قد بادرت بعض الأحيان إلى نشر متقطّع ومبعثر لبعض المقالات النقديّة[28]. نجد

---

[24] Stylianopoulos, *Testament*, 72-73, FN 53. يجدر الذكر أنّ في ٣٠ تشرين الأول ٢٠٠٣ منح المعهد اللاهوتي الأرثوذكسي الشهير Holy Cross درجة الدكتوراه الشرفية للبروفيسور سفاس أغوريذيس.

[25] في العربية: طرزي، بولس، **الرسالة الأولى إلى أهل تسالونيكي** (دراسات كتابية ٢)، منشورات النور، بيروت، ١٩٨٣؛ سكريما، أندريه، **إنجيل يوحنا**. قراءة وتعليق، في جزءين (دراسات كتابية ٣–٤)، منشورات النور، بيروت، ١٩٨٦ و١٩٨٧؛ كرافيذوبولس، يوحنا، **إنجيل مرقس. قراءة وتعليق** (دراسات كتابية ٥)، تعريب الأرشمندريت إفرام، منشورات النور، بيروت، ١٩٩٣؛ كرافيذوبولس، يوحنا، **رسائل الأسر ١**. تفسير رسالة بولس الرسول إلى أفسس، تعريب الأرشمندريت أفرام كيرياكوس، منشورات دير البلمند، البلمند، ٢٠٠٤؛ كرافيذوبولس، يوحنا، **رسائل الأسر ٤**. تفسير رسالة بولس الرسول إلى فليمون، تعريب الأرشمندريت سلوان موسي، منشورات دير البلمند، البلمند، ٢٠٠٤. يمكن اعتبار السلسلة "التفسير المسيحي القديم للكتاب المقدس" التي صدر عنها الجزء الأول (**الإنجيل كما دوّنه مرقس**، منشورات جامعة البلمند، ٢٠٠٣) طبعةً شبه نقدية للتفاسير الآبائية. وفي الانكليزية نجد التفاسير الأرثوذكسية التالية:

Tarazi, P., *I Thessalonians*. A Commentary (Orthodox Biblical Studies), SVSP: Crestwood (New York), 1982; and Tarazi, P., *Galatians*. A Commentary (Orthodox Biblical Studies), SVSP: Crestwood (New York), 1994.

[26] فيما يخص المداخل بأسلوب نقدي علينا أن نذكر مرة أخرى أعمال بولس طرزي في الانكليزية التي تخصص ثلاثة أجزاء للعهد القديم

The Old Testament: An Introduction. Vol 1 Historic Traditions, SVSP: Crestwood (New York), 1991, [2]2003 (new revised edition); *Vol 2 Prophetic Traditions*, 1994; *Vol 3 Psalms and Wisdom*, 1996.

ترجمت هذه الأعمال إلى العربية تحت عنوان **مدخل إلى العهد القديم، الجزء الأول. التقاليد التاريخية**، تعريب نقولا أبو مراد، منشورات النور، بيروت، ١٩٩٧؛ **الجزء الثاني. التقاليد النبوية**، ١٩٩٨؛ **الجزء الثالث. المزامير والحكمة**، ١٩٩٩.

أما بالنسبة إلى مداخل إلى العهد الجديد فقد ألف الأب بولس طرزي أربعة أجزاء التي نشر إلى اليوم أثنان بالانكليزية:

The New Testament: An Introduction. Vol. 1 Paul and Mark, SVS: Crestwood (N.Y.), 1999; *Vol. 2 Luke and Acts*, 2001.

والجزءان *John and Revelation* و*Matthew and The Canon* سينشران خلال السنة ٢٠٠٤. وفي العربية نشر الجزء الأول فقط: **مدخل إلى العهد الجديد. الجزء الأول. بولس ومرقس**، منشورات النور: بيروت، ٢٠٠١. يجدر ذكره أن مؤلفات الأب بولس طرزي لاقت أصداء اجابية بين الاخصائيين في أوروبا وأمريكا وهي متوفرة في أفضل المكتبات العامة هناك.

[27] كيزيتش، ف.، **المسيح في الأناجيل**، منشورات النور، بيروت ١٩٨١؛ بندلي، كوستي، **أمثال الملكوت**، (دراسات كتابية ١)، منشورات النور، بيروت، ١٩٨٣؛ هولزنز، جوزيف، **بولس الرسول**، ترجمة البطريرك إلياس الرابع، منشورات المعهد اللاهوتي، البلمند، [2]١٩٨٦؛ طرزي، بولس، **الوعظ**، منشورات النور، بيروت، ١٩٨٩. يجدر ذكره أيضًا ديديتريخ، سوزان، **القصد الإلهي**. أو جولات في الكتاب المقدس، تعريب البطريرك أغناطيوس الرابع، بيروت، ١٩٦٧ وبندلي، كوستي، **كيف نفهم اليوم قصة آدم وحواء** (الإنجيل على دروب العصر ١٠) منشورات النور، بيروت، ١٩٩٠.

[28] أبو مراد، نقولا، "نسب يسوع في إنجيل متى ١: ١–١٧،" **مجلة النور ٥٤** (٨، ١٩٩٨)، ص ٣٨٧ — ٣٩٠؛ أبو مراد، نقولا، "التفسير الكتابي"، في: **مجلة النور ٥٤** (٣، ١٩٩٨) ص ١١٥ –١٢٣؛ قطان، أسعد، "صورة يسوع والموضوعية التاريخية. بحث حول مسألة *يسوع التاريخي* في نقد العهد الجديد،" في: **مجلة النور ٥٠** (٤، ١٩٩٤) ص ١٦٥–١٧٠.

في العددين الأخيرين من **حوليات معهد اللاهوت في البلمند** (٢٠٠٣) اهتمامًا أكبر بالنقد الكتابيّ"[٢٩].

قد ذكرنا هذه الأمثلة لكي نشير إلى نمو الاهتمام بالعلوم الكتابية بين الكتّاب الأرثوذكس. هناك أيضًا مؤلفات رعائية وعقائدية تتطرق إلى مسائل تخص النقد الكتابيّ، كما وأنّ هناك لاهوتيين أرثوذكس قدّموا دراساتهم النقدية في مؤتمرات اختصاصية يشترك فيها لاهوتيون من مختلف الطوائف.

بالرغم من ذلك، يبقى اللاهوت في أنطاكيا بشكل عام والتفسير البيبلي بشكل خاص في وضع يثير القلق والغمّ اذا أخذنا بعين الاعتبار الأسباب التالية:

- لم يقم اللاهوتيون الأنطاكيون بعد بترجمة الكتاب المقدّس ونشره كما يعرفه تقليدها الشريف. كل ما قدمته الكنيسة الأنطاكية إلى اليوم لمؤمنيها ينحصر على ترجمة قديمة للنصوص الطقسية نجد بينها كتابَي الأناجيل والرسا ئل الطقسيَّين اللذين أعادت طبعتهما جمعية الكتاب المقدّس في السنة ١٩٨٣.
- لم تُدرس ولا تُدرَس –إلا في حالات استثنائية– كنوز المفسّرين الأنطاكيين الذي كتبوا على مدار القرون. وتبقى مؤلفاتهم حتّى الآن في الانتظار في المكتبات والمخازن.
- لا تتوفر عندنا تفاسير حديثة مختصة إلا المذكورة أعلاه، وتفاسير بولس الفغالي التي لا ينصح بعض المحافظين بقراءتها بسبب "طابعها الغربيّ."
- غيابُ تعاريبَ دقيقةٍ للتفاسير الآبائية لا يزال ملحوظًا بالرغم من المبادرات الخجولة والمنعزلة. لا بل حتى المداخل والدراسات حول هذه التفاسير لم

[29] انظر المقالات التالية: عطية، **وحدانية**، ص ٦٦–١٣٦؛ عيوش، "صيادون بلا سفن وبلا شباك،" ص ١٥٣–١٦٥؛ كرافيذوبولس، "سفر رؤيا يوحنا اللاهوتي وزماننا،" ص ١٦٦–١٧٧؛ كونستاندينو، "العهد القديم: أساطير العبرانيين أم كتاب الكنيسة،" ص ١٧٨–١٩٠.

تنشر إلا في منشورات معدودة قدّمها بعض الأرثوذكس والمكتبة البولسية والمكتبة الشرقية.

- لم تتأسّس بعد رابطة أو لجنة كتابيّة تعمل لخدمة المجمع المقدّس وتكرّس عملها للبحث عن هذه المواضيع وغيرها. فلا تزال هذه القضايا الأساسيّة متروكة للمبادرات الشخصيّة.

كما ترَون، تتعدد العقبات التي تعاني منها الكنيسة الأرثوذكسية الأنطاكية في عصر الحداثة وما بعدها في سبيل تعلّم الكتاب المقدس وتعليمه. بين كل المقاربات المذكورة إلى الآن يبقى النموذج الأكثر تجذّرًا في التقليد الأرثوذكسيّ الذي يقدمه الأب بولس طرزي في مؤلفاته.

يُبدي بولس طرزي انفتاحًا تحليليًّا ونقديًّا لنظريّات النقد الحديث، بالاضافة إلى غيرة عميقة على "وديعة" الإيمان القويم (١تيم ٦: ٢٠). في مؤلفاته يحاور طرزي الدراسات الحديثة، في حين أنّه يراجع باعتناء التقليد الأرثوذكسيّ، فيقدّم للقارئ المعاصر دقّة البحث العلميّ في آنٍ واحد مع كلمة ارشادية. دون أن يدخل في مناقشات نقدية طويلة، يقدّم طرزي مؤلّفاتٍ تتجذّر في معرفة متخصِّصة للمناهج التفسيرية التي يطبقها ويحاورها في غرض تفسير كلمة الخلاص تفسيرًا عميقًا[٣٠]. ويجمع قلمه بانسجام العقلانية الحديثة والاعتناء برعاية النفوس، كما علّمها الآباء كلمةً وشهادةً. كما أنّه يلتزم بغيرة أن لا يبعد انتباه القارئ عن النص الذي يشرحه بمعلومات غير ضرورية؛ فحواره مع أهل العلوم البيبليّة يأتي مباشرةً في التفسير بقبول النظريّات ورفضها في تطبيقها المباشر على النص الكتابيّ المعيّن، دون أن يضطرّ إلى إلهاء القارئ بلوائح طويلة من الأبحاث النقدية الحديثة. لا شكّ في أنّ قدوته في

[30] مثلان بديهيان لهذا نجدهما في مناقشة طرزي حول هوية المرسل إليهم في الرسالة إلى الغلاطيين (راجع *Galaltians*, 5-9) أو في غاية سفر بولس إلى العربية (راجع *Galatians*, 50-51).

التفسير هو القديس يوحنا الذهبي الفم، الذي يذكره في مؤلفاته أكثر من مرّة، وخصوصًا عندما يتطرق إلى طرائق التفسير[٣١]. يشير طرزي باستمرار إلى الليتورجيا الأرثوذكسية ليبيّن تجذّرها في الكتاب، وللإشارة إلى أوجهها الأكثر بناء، ولتصحيح بعض التفاسير المعاصرة الخاطئة[٣٢]. همّه الوحيد هو التعريف بالاعلان الالهي من أجل الوصول إلى معرفة الله؛ هذا ما يقوله جليًّا في خاتمة المدخل إلى الأنبياء[٣٣].

خاتمة

لا داعي لحصر العقل والفكر بالطوائف البروتستانتية ولا بثقافة أوروبا الغربية فحسب. لقد خلق الله كل البشر بعقل، وبارك اجتهادهم الفكريّ، ووهبهم العقل (في اليونانية: *nous*؛ في العبرية: *leb*) حتى يعرفوا الخير من الشرّ. الكلام الجوهريّ في القداس الإلهيّ الذي يحمل اسم القديس يوحنا الذهبي الفمّ، يسمّي هذه الخدمة الإلهية "العبادة الناطقة" (في اليونانية: *he logike latreia*)، العبارة نفسها التي دوّنها بولس الرسول في روم ١٢: ١، والتي يمكن تعريبها بـ "العبادة العقليّة" و"العبادة بالكلمة"، أيّ العبادة التي تتجذّر في معرفة كلمة الله المدوّنة في الأسفار المقدسة. المعرفة لا تعادي الايمان بل تعاونه وترافقه، بالأخص إذا قلنا مع سليمان الحكيم: "بدء الحكمة مخافة الرب، ومعرفة القدوس فهم" (أم ٩: ١٠).

31 في كتابه *Historical Traditions*، ص ٢–٤ يذكر طرزي ثلاثة مقاطع للقديس يوحنا الذهبي الفم لكي يشرح ضرورة القراءة الجماعية للكتاب المقدّس. في مؤلَّف آخر (*Galatians*، ص ٢٥١–٢٥١ الحاشية ٣٩) يستشهد بالقديس يوحنا الذهبي الفم بصفته مفسّر الرسالة إلى غلاطية بتدقيق.

32 في مقالته "The Parish in the New Testament," in: *SVThQ* 36 (1-2, 1992), 96-97 يدرس طرزي بعض النصوص العائدة إلى القديس أغناطيوس الأنطاكي وفي الصفحة ٩٩ يذكر مثل الآباء القديسين بمواجهة التعاليم الخاطئة كما وأنّه يشير إلى رسامة الأسقف بحسب الطقس البيزنطي. في مقالة أخرى "Witnessing the Dynamics of Salvation," in: *SVThQ* 22 (4, 1978), 180-181، يذكر أيضًا أمثلة من الليتورجيا الأرثوذكسية وفي الصفحة ١٨٣ يتطرق إلى دور الكنيسة في العمل الخلاصي. في مقدمة المدخل إلى لوقا / أعمال (*Luke and Acts*، ص xiv-xvi) ينبّه القارئ على مخاطر الطائفية وفي كتابه **الوعظ** يتكلم عن موضوعَين أساسيَّين بالنسبة للرعايا الأرثوذكسية وهما ضرورة الوعظ في خدمة الافخارستيا (ص ٦٣–٦٤) وكيفية قراءة الآباء القديسين اليوم (ص ٦٦–٦٩). أنظر أيضًا استطراده حول الدستور النيقوي القسطنطيني في كتابه *Psalms and Wisdom* ص ٩٣–٩٥.

33 *Prophetic Traditions*, 213-214. علاوةً على ذلك يشهد كتابه **الوعظ** لاهتمامه بتبشير الكلمة. لاحِظ أيضًا أسلوب طرزي الرعاوي في تأوينه لكلمة عاموس في *Prophetic Traditions*، ص ٨٧–٩٠.

لا ينطبق البحث الكتابي حصرًا على كنائس الإصلاح. أدرك الكاثوليك هذا الأمر، فأخذوا يعملون في هذا المجال منذ عقود، وخصوصًا بعد المجمع الفاتيكاني الثاني. إزاء هذه الخبرات، وعى الأرثوذكس أنّ علم التفسير يتطلّب اجتهادًا وتنشئة، ليس فقط من صفوف مُعلّميه، ولكن أيضًا من صفوف متلقّي هذا التعليم. كما وأنّهم يعرفون أنّ العمل التفسيريّ الجدّي سوف يُطلق حركة ثقافيّة قويّة، وأنّ هذه الحركة تستدعي معرفةً وجهدًا وتفرّغًا. المسألة مسألة نهضة، وكثيراً ما تكلّموا عنها في الكنيسة الأرثوذكسية منذ نهاية الحرب العالمية الثانية، وتأسيس الدول العربية الحديثة، ولكن هذه النهضة لا تقوم إلا بمعرفة حقيقية للكتاب المقدّس وعيشها.